

والدليل المادي القائم على بطلان نظرية ابن رُضْوَان : أنك ترى آلاف
التراجم والسُّيَر على اختلاف الأزمان ومرَّ الأعصار وتنوع المعارف،
مشحونة بتسمية الشيوخ والتلاميذ ومستقل من ذلك ومستكثر، وانظر شذرة
من المكثرين عن الشيوخ حتى بلغ بعضهم الألوف كما في «العُرَاب» من
«الإسفار» لراقمه.

وكان أبو حَيَّان محمد يوسف الأندلسي (م سنة ٧٤٥هـ) (١) إذا ذكر

(١) مقدمة التحقيق لكتاب «الغنية» للقاضي عِيَّاض (ص ١٦ - ١٧).

عنده ابن مالك؛ يقول: «أين شيوخه؟».

«وقال الوليد^(١)»:

كان الأوزاعي يقول: كان هذا العلم كريماً يتلاقاه الرجال بينهم،
فلما دخل في الكتب؛ دخل فيه غير أهله.

وروى مثلها ابن المبارك عن الأوزاعي.

ولا ريب أن الأخذ من الصحف وبالإجازة يقع فيه خلل، ولا سيما
في ذلك العصر، حيث لم يكن بعد نقط ولا شكل، فتصحف الكلمة بما
يحول المعنى، ولا يقع مثل ذلك في الأخذ من أفواه الرجال، وكذلك
التحديث من الحفاظ يقع فيه الوهم؛ بخلاف الرواية من كتاب محرره اهـ.

ولابن خلدون مبحث نفيس في هذا؛ كما في «المقدمة»^(٢) له.

ولبعضهم:

من لم يشافه عالماً بأصوله

فيقينه في المشكلات ظنون

وكان أبو حيان كثيراً ما ينشد:

يظن الغمر أن الكتب تهدي

أخافهم لإدراك العلوم

(١) «السير» (٧ / ١١٤).

(٢) (٤ / ١٢٤٥).

وما يذري الجهول بأن فيها
غوامض خيّرت عقل الفهيم
إذا رُمّت العلوم بغير شيخ
ضَلَلت عن الصراط المستقيم
وتلتبس الأمور عليك حتى
تصير أضل من «ثوما الحكيم»

ثم ذكر رحمه الله دليلاً ما دياً على الأختة من الشيخ وبيرو على ابن رضوان
أن العلماء والشيخ وأهل العلم وتراجمهم مستحقة بأسماء من أخذوا
عنه ويذكرون به أخذ عنهم

وقد قول أبو حيان عنه ما لك وقول الأوزاعي أن العلم كان كثرًا
يتلاقاه الرجال بينهم. كان في هذه المنزلة الكرمية العالية الرفيعة عند ما كان
مؤخذ من أقواله المشايخ قال رحمه الله فلما دخل في الكتب تسور عليه ودخل
فيه فن هو من غير أهل

وروى مثل هذه العبارة ابن المبارك عن الأوزاعي: سئل عن الأختة من
المصنف يعني بيرو مشافهة الشيخ هذا يقع فيه خلل كبير، كذا لك
إن قال أجزتك في جمع كتب أو مرويات أو نحو ذلك هذا أيضًا
يقع فيه خلل كبير، ولا سيما في العصور الأولى ما كان ينقون الحروف
بما يسهل التصحيح والتعريف بما يحصل معنى الكلام وقد ذكرنا له
أمثلة كثيرة لكن من خاف من متبعه سلم من ذلك كله.

الفصل الثالث أدب الطالب مع شيخه

١٨ - رعاية حرمة الشيخ :

بما أن العلم لا يؤخذ ابتداءً من الكتب بل لا بد من شيخ تتقن عليه مفاتيح الطلب؛ لتأمن من العثار والزلل؛ فعليك إذا بالتحلي برعاية حرمة؛ فإن ذلك عنوان النجاح والفلاح والتحصيل والتوفيق، فليكن شيخك محل إجلال منك وإكرام وتقدير وتلطّف، فخذ بمجامع الآداب مع شيخك في جلوسك معه، والتحدث إليه، وحسن السؤال والاستماع، وحسن الأدب في تصفّح الكتاب أمامه ومع الكتاب، وترك التطاول والمماراة أمامه، وعدم التقدّم عليه بكلام أو مسير أو إكثار الكلام عنده، أو مداخلته في حديثه ودرسه بكلام منك، أو الإلحاح عليه في جواب؛ متجنباً الإكثار من السؤال، لا سيما مع شهود الملا، فإن هذا يوجب لك الغرور وله الملل.

ولا تُناديه باسمه مُجرّداً، أو مع لقبه كقولك: يا شيخ فلان! بل قل:
يا شيخني! أو يا شيخنا! فلا تُسمّه؛ فإنه أرفع في الأدب، ولا تُخاطبه بتاء

هذا هو الفصل الثالث في أدب الطالب مع شيخه وقد أثبت بالليل
رسمه الله أنه لابد من شيخ متقن تأخذه العلم فلا بد من التوسل مع هذا
الشيخ وهذا من أهم الآداب لطالب العلم وهو أن قرأ في حرفة هذا
العالم فإنه فعلت وهذه علامة النجاح والفلاح بأنه قد رزقه المرام
وتنجز من المرام وهذه أيضاً علامة التوفيق من الله فامرن
رأيت الطالب قد علمه الأديب فاعلم أن هذه علامة التوفيق

فأمره حرمها فذلك المأخوذ .

قال ابن عثيمين لكن تستفيد من شيخك لا بد أنه تعتبره معلماً أمريئياً والطالب إن لم يثق بشيخه في هذه الأمور من فلن يستفيد من شيخه الفائدة المرجوة

← (فليكن شيخك محل إجلال منك وإكرام وتقدير وتلطف) أي لا بد ولزاماً عليك أنه يكون الشيخ في الإجلال منك بمكان وأن تكرم وترفع منزلته وتقديره حق قدره وأن تتلطف معه قولاً وفعلًا فلا تستيقه في سير ولا تتفكك عليه في دخول وخروج أو مجلس وأخت وإعطاء وأحواله ما يدل على التوقير والإحترام

← (خذ جميع الآداب مع شيخك في جلوسك معه)
فاجلس بين يديه جلسة المتأدب الطالب للعلم

← (والتحدث إليه) إذا تحدثت إليه فتحدث حديث الطالب الجامع ←
← (وحسن السؤال والاستماع) وهذا من الأمور المهمة أن للسؤال آداب وفن وإخلاص لله في هذه السؤالات كما سأل الوفد الذي كان معكم من قريتنا بأمر ببلغة من بعدنا وقد دخل به الجنة فيسأل السائل ليعمل ليعمل الجنة وأن يتلقى ويحمل ذلك العلم لغيره ولا شك أنه الإخلاص في هذا الأمر له صور كبير فانت فجد أن كثيراً من كتب العلم إنما هي جواب لسؤال مسائل كالتمهيد والواسطه وخود لك ولا شك أن الله يعطي هذا السائل جواباً عظيماً كلما قرأ هذا الكتاب في لذه كان شيئاً فيه .

← (وحسن الاستماع) فتحدث إليه أو أكل ولا تلتفت عنه فذلك

سوء أدب كخافه (سأله قدم فقال أومن الله اليكم وأخبره لك

وكذلك نحن الأئمة في تصحيح الكتاب في أمانه ويتأدب أيها

مع كتاب العلم فلا يهتبه ولا يكون شيئاً في قلبه وقريته

← (وترك التطاول) أي عدم الرفع على الشيخ بعلم أو مال أو خوفه

← (وترك المارة أمامه) المارة جعق أنه يسأل الشيخ فيجيب ثم يرد على

الشيخ قائلاً كان كذا فيجيب وهكذا

← (أو إكثار كلامه) فكونه عليه السكينة والوقار ولا يتكلم بكلام

فاشه فلهذا يكسر الكلام

« أو من أخلقه في حديثه ودرسه بكلامه منك ليس من الأدب
فما ملحة منك حتى يفزع من كلامك عما يذكرك بالعالم أمّا تكلم
وكذلك لا تلج عليه في الحديث الصواب فأما سألته فقال: أنتظر
فلا تلج عليه حتى يقول ما سألته.

« كذلك فحجب كثرة السؤال وقد يكون في غير موضع الدرس وقد تكون فيه
غير صالحة فلا يستفيد ولا يفيد والعلو بالدس وقد تكون فيه الطوارق
أما الناس فهنا أيضاً من التوايا بالفساد.

« ومن الأدب مع الشيخ ألا تناديه باسمه مخبراً يا محمد
ولا مع لقبه يا شيخ محمد بل الأديب أن يقول يا فتى أو يا شيخنا
فلا تسخه ولا مخاطبه بثناء الشطاب أفت أرفأت وأخوه ولكن
تقول: قلنا كذا وكذا أو مرّ بنا كذا وكذا في الدرس المأخوذ من
« ولا تناديه عن بعد من غير ضرورة فهذا ليس فيه تقدير واحترام للمعلم.

الخطاب، أو تناديه من بُعد من غير اضطرار.

وانظر ما ذكره الله تعالى من الدلالة على الأدب مع مُعَلِّمِ الناس
الخير ﷺ في قوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ
بَعْضًا...﴾ الآية.

وكما لا يليق أن تقول لوالدك ذي الأبوة الطيبة: «يا فلان» أو: «يا
والدي فلان» فلا يجمل بك مع شيخك.

والتزم توقير المجلس، وإظهار الشورى من الدرس والإفادة به.

وإذا بدا لك خطأ من الشيخ، أو وهم فلا يسقطه ذلك من عينك؛
فإنه سبب لحرماتك من علمه، ومن ذا الذي ينجو من الخطأ سالماً؟

واخذر أن تمارس معه ما يضره، ومنه ما يسميه المؤلّدون: «حرب
الأعصاب»^(١)؛ بمعنى: امتحان الشيخ على القدرة العلمية والتحمل.

وقد أمر الله الصحابة الكرام بالشأن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخطاب فقال: لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً. أي لا تنادوه باسمه محروفاً كنداء بعضكم بعضاً.

وكما لا يليق أن تقول لو ألدك مع النسب وهو ذو الأيوه الطيبه يا فلان أو يا والدي فلان فكذلك الشيخ لا يليق أنه تناديه باسمه محروفاً أو باللقب مع الاسم كذلك

وإظهار السرور من الدرس والإفادة منه فإذن كل ذلك يُسعد الشيخ ويزيد من انتشار صدره وإقباله على الإفادة وبالعكس كذلك

وإذا بدالك خطأ من الشيخ أو وهم فليس ذلك معناه أن تسقطه من عندك حتى إذا الذي يسلم من الخطأ وإذا ثبت الشيخ فتلتزم الأذى وأما أن يكون على الخطأ أو يشك ويثبت على حسب ما تقتضيه المصلحة.

واحترازهم بحالهم مما وضجروه فيمنعهم الأستاذ ويعتد له المسائل لو كان كذا لو كان كذا حتى يملك هذا كله خطأ وخروج عن العادة

وإذا بدا لك أن تنتقل إلى شيخ آخر لتلقى علم منه أمر باوه فستأذن شيخك لأن عنده من العلم فليس عندك فيصحبك في ذلك الأمر وبين لك ما يريد ذلك كذلك إذا أردت السفر مثلاً لتأذن منه حتى لا يشغل قلبه أو يتهمل بالكسل مثلاً

ومعرفة هذه الآداب إما أن يكون بطريق العقل أو بالطبع وكذلك بحضور مجالس العلم ومخالطة الطلبة والعلماء.

وإذا بدا لك الانتقال إلى شيخ آخر؛ فاستأذنه بذلك؛ فإنه ادعى

لحرمة، وأملك لقلبه في محبتك والعطف عليك...

إلى آخر جملة من الآداب يعرفها بالطبع كل موفق مبارك وفاء لحق

شَيْخُكَ فِي «أَبَوْتِهِ الدِّينِيَّةِ»، أَوْ مَا تُسَمِّيهِ بَعْضُ الْقَوَانِينِ بِاسْمِ «الرِّضَاعِ
الْأَدَبِيِّ»^(١)، وَتُسَمِّيُهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لَهُ «الْأَبَوَّةُ الدِّينِيَّةُ» الْيَقُ، وَتَرْكُهُ أَنْسَبُ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ بِقَدْرِ رِعَايَةِ حُرْمَتِهِ يَكُونُ النِّجَاحُ وَالْفَلَاحُ، وَبِقَدْرِ الْفَوْتِ

يَكُونُ مِنْ عِلَامَاتِ الْإِخْفَاقِ.

تَنْبِيْهُ مُهِمٌّ:

أَعِيْذُكَ بِاللَّهِ مِنْ صَنِيعِ الْأَعَاجِمِ، وَالطَّرِيقَةِ، وَالْمَبْتَدَعَةِ الْخَلْفِيَّةِ؛ مِنْ
الْخُضُوعِ الْخَارِجِ عَنْ آدَابِ الشَّرْعِ؛ مِنْ لَحْسِ الْأَيْدِي، وَتَقْبِيلِ
الْأَكْتَافِ، وَالْقَبْضِ عَلَى الْيَمِينِ بِالْيَمِينِ وَالشِّمَالِ عِنْدَ السَّلَامِ؛ كَحَالِ تَوَدُّدِ
الْكِبَارِ لِلْأَطْفَالِ، وَالْإِنْحِنَاءِ عِنْدَ السَّلَامِ، وَاسْتِعْمَالِ الْأَلْفَافِ الرَّخْوَةِ
الْمُتَخَاذِلَةِ: سَيِّدِي، مَوْلَايَ، وَنَحْوَهَا مِنْ أَلْفَافِ الْخَدَمِ وَالْعَبِيدِ.

وَانْظُرْ مَا يَقُولُهُ الْعَلَامَةُ السَّلَفِي الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْبَشِيرُ الْإِبْرَاهِيمِي

الْجَزَائِرِي (م سَنَةِ ١٣٨٠ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي «الْبَصَائِرِ»؛ فَإِنَّهُ فَاتَّقُ

السِّيَاقَ^(٢).

وَأَعْلَمْ أُخِيرًا أَنَّهُ بِقَدْرِ مِرَاعَاةِ مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ مِنْ آدَابِهِ يَكُونُ النِّجَاحُ
وَالْمَوْفَاقُ، وَبِقَدْرِ مَا يَفُوقُكَ يَكُونُ الْإِخْفَاقُ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ

وَيَحْذَرُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي آخِرِ كَلَامِهِ عَنِ الْغُلُوِّ فِي ذَلِكَ
الْأَمْرِ وَتَجَاوِزِ الْوَارِدِ وَتَعَدِّي السَّنَةِ كَمَا يَجْمَعُ الْأَعَاجِمُ أَوِ الطَّرِيقَ
الْمُصَوِّفِيَّةَ أَوْ كُلَّ مَبْتَدَعٍ وَذَكَرَ لَهُ أَهْلُهَا مِنْهَا لَحْسَ الْيَدِ فِي هَذَا الْيَمِينِ
أَوْ التَّقْبِيلِ قَالَ ابْنُ عَثِمٍ لَا بَأْسَ بِهِ هَالِكٌ يَخْرُجُ إِلَى حَدِّ الْإِفْرَاطِ
وَالزُّيَادَةِ، وَأَمَّا تَقْبِيلُ الْأَكْتَافِ لَيْسَ مِنْ مَوْثِقٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ إِنْ كَانَ مُقَامًا
مِنْ سِوَى غُلَامٍ لَا بَأْسَ بِذَلِكَ إِلَّا إِذَا اقْتَرَفَ بِهِ إِفْرَاقًا

قَالَ الشَّيْخُ... وَالْقَبْضُ عَلَى الْيَمِينِ بِالْيَمِينِ وَالشِّمَالِ عِنْدَ السَّلَامِ.

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عَثِمٍ هَذَا لَا بَأْسَ بِهِ وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ

رحم الله عنه قال: علمني الله ما لم أعلم التشهد وكفى بين كفيه
رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه.

وهذا يدل على جواز أن يقبض الكف بين اليدين وإذا اعتاد الناس
ذلك عند السلام فلا حرج وهذا ليس فيه شيء وهذا يدل على إظهار
الشفقة والإكرام ولا يرى أن في ذلك بأساً بل الإفتناء عند السلام
هذا خلق ذميمة ينهى عنه لورود الخبر، انتهى فلام الشيخ العثماني رحمه الله

→ واستعمال الألقاب الرحوة المتخافلة: سيدي مولدي، قال الشيخ ابن
عثيمين هذه لا داعي لها

→ وما أحوال الشيخ / بكر رحمه الله على كتابه البهاثر، قال العثماني لا أعرفه
وما ظالمته، وهذا يدل على مراعاة الشيخ وقواضيه رحمه الله عليهم
أجمعين، اللهم آمين